المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والخمسين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٢١ — الموافق ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٣٩

مناظرة في مناجاة الارواح

جرت هذه المناظرة منذ عهد قريب بين السر ارثركونن دويل والمستر جوزف مكايب في محفل حافل باكابر علماء الانكليز برآسة السر ادورد مارشل هول الاخصائي الشهير. والغرض منها ايقاف الجمهور على ما عند اهل السبرتشوالزم (مناجاة الارواح) من الادلة التي يؤيدون بها مذهبهم وعلى ما عند خصومهم من الادلة التي ينقضونه بها. فافتتح المناظرة المستر مكايب وتكلم اربعين دقيقة وتلاه السر ارثركونن دويل وتكلم اربعين دقيقة ايضاً. ثم تكلم كل منهما مرتين مؤيداً دعاويه وناقضاً دعاوي خصمه. وتعاكلا بها قبل نشره وطبعه. وما من اشهر المباحثين في هذا الموضوع فرأينا ان نعرب ادلتهما بقليل من التصرف لان الموضوع من اهم المواضيع. وهل من موضوع اهم من موضوع نفس الانسان وما يحل بها بعد موته

افتتح المستر مكايب[1] (McCabe) المناظرة مشيراً الى كيفية تولد الاديان وكيف قلت سلطتها على العقول في هذا العصر ثم قال ان مناظري يحسب الموضوع الذي نتناظر فيه الآن مذهباً دينيا صحيحاً. اما انا فاقول ان هذا المذهب ولد في الخداع وربي في الخداع وانتشر الآن في المكونة والخداع وسيلته. ولا اعلم هل ادرك مناظري كم للخداع من يد في نشر هذا المذهب. قال في احد مؤلفاته ان اساسيا بلادينو وهي امهر وسيطة قامت في تاريخ مناجاة الارواح لم يثبت انها خدعت

(١) هو مؤلف كبير وخطيب شهير كان من اكبر رسل الدين الكاثوليكي باسم الكلي الاحترام الاب انطوني مكايب ودرّس الفلسفة مدة ورأس كلية بكنهام ثم ترك الكنيسة وجعل يؤلف ويخطب في المواضيع الدينية والفلسفية والتاريخية وله مؤلفات شتى في هذه المواضيع مثل ١٢ سنة في الرهبنة. والقديس اغسطينوس وعصره وديانة النساء ونشوء العقل وملكات رومية وميادىء النشوء واصول الآداب ونشوء الانسان وروح اوربا

الاَّ مرتين . اما انا فاقول انها خدعت مئات من المرات . واظن ان اكبر ثقة في الكلام عليها انما هو الاستاذ مورسلي الايطالي الذي كان من المعجبين بها والمؤمنين باعمالها وقد قال « ان عشر اعمالها على الاقل كان غشاً » . ولا يخفى ان اعمالها التي عملتها في اوربا مدة عشرين سنة تعد بالالوف فعشرها يعد بالمئات . وقال الاستاذ مورسلي ايضاً « و٢٥ في المئة من اعمالها مشكوك في صحته والباقي وهو ٦٥ في المئة صحيح » اما الرجل الحذور مثلي فيقول ان هذه الخمسة والستين في المئة من اعمالها لم يتمكن المشاهدون من كشف الغش فيها . واكتفي من هذا القبيل بالاستشهاد برجلين من الذين بحثوا في هذه الاعمال او المظاهر وهم يعتقدون صحتها. الاول فلامريون (Flammarion) الفلكي الفرنسوي المشهور الذي بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً مدة خمس عشرة سنة فقد قال « ان كل وسيط يستعمل وساطتهُ للربح فهو غاش » . والثاني البارون شرنك نوتزنج (Schrenk-Notzing) من اعيان الاطباء في ميونخ فقد قال انهُ كلما قام وسيط الاَّ وثبت انهُ يستعمل الغش . قال هذا القول بعد ان بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً جداً مدة ٣٠ الى ٣٥ سنة

وقال آخر من المعتقدين بصحة مناجاة الارواح ان ٩٨ في المئة من حوادث مناجاة الارواح الطبيعية المحسوسة خداع

فلستُ مبالغاً فيما نسبتهُ من الغش الى هذا المذهب . ولا يخفى ان اكتشاف الغش ولو مرةً واحدة يستلزم ان يزيد الباحث تدقيقاً وتمحيصاً . واني اوافق الاستاذ ريشه(*) على قولهِ ان الظواهر التي من هذا النوع تقتضي تدقيقاً اشد مما يستعمل في العلوم الطبيعية والكيماوية والطبية . فان كان هذا الغش قائماً في اساس هذا المذهب فلا داعي لطلب ادلة جديدة على صحتهِ وتشييده بل تقضي الحال بان تكون عقول الباحثين فيهِ اقوى من عقول الباحثين في العلوم الطبيعية والتاريخية

هذا والتفت الى الكتابين اللذين الفهما مناظري السر ارثر كونن دويل في هذا الموضوع لافادة الجمهور واسأل هل بحث البحث الدقيق اللازم وهل تمكن من اقناع قارئي كتابيهِ بصحة هذا المذهب . اتكلم وان اخطأت فلهُ ان يصلح

(*) (Richet) من اشهر اطباء فرنسا واساتذتها وقد كان رئيساً لجمعية الباحث النفسية في لندن

خطإي واؤكد لكم انني لم اختر اضعف ادلته بل ما حسبت انهُ اشد تأثيراً من غيره في الجمهور وما اعتقد انهُ هو قصد ان يكون لهُ اعظم تأثير في الجمهور

ارى ان مناظري حسب ان من اقوى الادلة على صحة هذا المذهب ما ادعاهُ من كثرة عدد العلماء الذين اعتنقوهُ . فكرّر ذلك مراراً وهاكم فقرة من قولهِ قال « يمكننا ان نذكر اسماء خمسين من الاساتذة في معاهد العلم الكبرى الذين فحصوا هذه المظاهر واثبتوها وفي جملتهم اشهر ارباب العقول الذين نبغوا في عصرنا »

فهذا نص صريح لا يقبل التأويل وانا واقف الآن امام جمهور كبير من ارباب الافهام وعليّ ان آخذ بهذا الموضوع من كل اطرافهِ ولا ابقي للشبهات فيهِ مجالاً . واول شيء اقولهُ ان السر اوليفر لدج جعلنا نفهم مما كتبهُ في هذا الموضوع ان العلم العلم الطبيعي المعدود صحيحاً (ارثوذكس) ينظر الى هذه المظاهر بعين الازدراء

ظهرت مقالة في هذا الموضوع في الشهر الماضي في جريدة من امهات جرائد اميركا «بوستن هرلد» . فان السر اوليفر لدج اتى اميركا الآن للتبشير بمذهب مناجاة الارواح . وكاتب المقالة المشار اليها من ممثلي العلم في الجامعات الاميركية وهو الدكتور ستانلي هول رئيس جامعة كلارك وقد قال فيها انهُ هو وغيرهُ من العلماء الاميركيين طُلب منهم مراراً ان يبدوا رأيهم في عمل السر اوليفر لدج هذا وانهُ هو تردّد في الامر ثم قال بالنصهُ « ان منظر اب يري الناس قليهُ الداميعلى ابنهِ القتيل يجعلهُ عأمن من الانتقاد »(٣) . واتبع ذلك بقولهِ «ولكن تبشير السر اوليفر لدج بمذهب مناجاة الارواح احتقار للعلم (affront to science) ثم توسع في الكلام على مناجاة الارواح . واني استميحكم بذكر عبارة واحدة مما قالهُ فيهِ مشيراً الى الحياة التي تحياها الارواح بعد الموت حسب ما ادعاهُ السر اوليفر لدج في اميركا وفي بريطانيا « انها تشبه حياة ضعاف العقول في البيمارستان » وختم مقالتهُ الممتعة بقولهِ « اني اؤكد انهُ لا يوجد ذرّة من الحق في كل هذا الجبل الكبير من دعاوي مناجاة الارواح » . هذا رأي رجل من قادة الفكر العلمي في اميركا وهو من اشهر علماء الفلسفة العقلية فيها

(٣) لان السر اوليفر لدج فقد ابنه رينند في الحرب وكتب فيه الكتاب الذي لخصناه وانتقدناه حال ظهوره في اجزاء متوالية من المقتطف

اشرت آنفاً الى ما قاله مناظري من انهُ يستطيع ان يذكر اسماء خمسين من الاساتذة في معاهد العلم الكبرى الذين فحصوا مظاهر مناجاة الارواح واثبتوها . فاني اطلب منهُ ان يذكر لي اسماء عشرة فقط حينما يردُّ عليَّ لا اسماء خمسين من اساتذة المدارس الذين شهدوا بصحة مناجاة الارواح او دافعوا عنها في الثلاثين سنة الاخيرة . وقد زاد على ذلك بقولهِ ان كثيرين من رجال العلم فحصوا هذه الظواهر في الثلاثين سنة الاخيرة ولا يعلم ان واحداً منهم بقي غير مؤمن بمناجاة الارواح . اما انا فاقول ان خمسين او ستين استاذاً من اساتذة الجامعات العلمية في اوربا واميركا (ومنهم ٢٠ استاذاً في ايطاليا و١٥ استاذاً في اميركا) فحصوا دعاوي اشهر الوسيطات اي اسابيا بلادينو وانا اطلب من السر ارثر كونن دويل ان يذكر لي اسم واحد من هؤلاء الاساتذة آمن بمناجاة الارواح غير لمبروزو

والآن انتقل الى ما ذكرهُ مناظري كاقوى دليل على صحة مذهبهِ او دينهِ الجديد كما يسميهِ وهو الوسيط هوم الذي يزعم انهُ طار من كوة الى كوة . فقد قال ان هوم هذا لم يكن مأجوراً لانهُ حفيد ارل هوم

فاجاريهِ في البحث في قصة هذا الرجل واوافقهُ على انهُ كان اشهر كل الوسطاء واقدرهم ولكنهُ لم يكن حفيداً لارل هوم بل يظهر من قاموس الاعلام الوطني انهُ كان ابن ابن غير شرعي لارل هوم . وهذه النسبة على ما فيها من المعرّة لا سند لها الاَّ دعوى هوم نفسهِ (ضحك)

هوم هذا كان يتعيش بمواهبهِ الروحية من حين كان عمرهُ ست عشرة سنة الى ان مات فتزوج مرتين بامرأتين من ذوات اليسار وقد تزوجتا بهِ لسبب مواهبهِ هذه لا لسبب آخر . وقبل وفاتهِ اصاب ٣٦٠٠٠ جنيه من امرأة ارملة اسمها مسز ليون فانهُ اقنعها ان زوجها المتوفى امرها بواسطتهِ ان تعطيهُ هذا المال (ضحك) ثم رُفع الامر الى القضاء فحكم عليهِ ان يرد لها مالها لانهُ اخذهُ منها بطريقة غير محلة . وقد حرّف الحكم في كتب معتقدي مناجاة الارواح اما انا فقد قرأتهُ في محلهِ وفيهِ « ان شرائع انكلترا وُضعت لحماية الشعب من اخاديع هؤلاء الوسطاء الروحيين »

ولا اعجب من أن مناظري ذكر هذه الحادثة في كتابهِ كما يعتقدها وكسبب من الاسباب التي تقضي بصحة هذا المذهب فقد قال ان الارواح حملت هوم من شباك الى شباك على ارتفاع سبعين قدماً فوق الارض وانهُ استغرب ذلك لما قرأ هذه القصة ولكنهُ وجد انها محققة بشهادة ثلاثة شهود عدول رأوها مرأى العين فصحتها اثبت من صحة الحوادث القديمة التي اتفق الناس كلهم على تصديقها

ولا استغرب اختيار مناظري لهذه الحادثة لان السر وليم بارت (Barrette) الذي بحث في مناجاة الارواح بحثاً علمياً اختارها ايضاً كدليل من اقوى الادلة على صحة مناجاة الارواح. وقد قال السر وليم بارت ان شهادات اولئك الشهود كانت متماثلة. فليبق هذا في بالكم. وقد اعتمد السر وليم كروكس ايضاً على هذه الحادثة. وهو من اشهر رجال العلم الذين نبغوا في هذه البلاد في القرن الماضي وقال ان من يرفض شهادة اولئك الشهود كمن يرفض كل ما يشهد بهِ الناس مهما كان

فانا اقبل التحدي للدخول في هذا الموضوع عن طيب نفس واقول ان الدعوى بان هوم طار او انتقل من شباك الى شباك افرغ دعاوي الدجالين في كل تاريخ مناجاة الارواح. الشهود المشار اليهم آنفاً هم ارل كروفرد ولورد ادر والكبتن وِن. اما ارل كروفرد فروى هذه الحادثة على صورتين الاولى بعد حدوث الحادثة بستة اشهر والثانية بعد حدوثها بسنتين ونصف سنة. واما السر وليم بارت فاختار الرواية الثانية التي ذكرت بعد الحادثة بسنتين ونصف سنة واهمل الاولى وادخل فيها تاريخاً من عندياتهِ. والظاهر ان مناظري ضلَّ باتباعهِ السر وليم بارت. وروايتا ارل كروفرد متناقضتان تمام التناقض في اهم نقطها. وهذا عند اهل القضاء مضعف للشهادة ولكنهما متفقتان في امر واحد وهو يكفي لغرضي فقد اتفقتا على ان ظهر ارل كروفرد كان متجهاً الى الشباك وان كل ما رآهُ انما كان خيالاً على حائط الغرفة. ولكن ما هو النور الذي التقى ذلك الخيال على حائط الغرفة. فقد قال ارل كروفرد انهُ لم يكن في الغرفة مصباح بل كان القمر مشرقاً فيها ببهائهِ. ولا يخفى ان القمر يزيد وينقص يوماً بعد يوم اي يتدرج من الهلال الى البدر ومن البدر الى الهلال ففي اي درجة من درجاتهِ كان حتى يدخل نورهُ غرفة في لندن وينيرها فيرى بنورهِ رجل طائراً فوق

عتبة شباكها . لنعلم السنة والشهر واليوم ونذهب الى التقويم السنوي فنرى كم كان عمر القمر حينئذٍ.

التاريخ الذي ذكرهُ لورد ادر هو ١٣ دسمبر وهذا في السنة التي حدث فيها ذلك يكون فيهِ القمر في المحاق فلا نور لهُ . اما السر ارثر كنن دويل فاعتمد على التاريخ الذي ذكرهُ السر وليم بارت وهو ١٦ دسمبر فيكون عمر القمر حينئذٍ ثلاثة ايام لما رأى لورد كروفرد ذلك الخيال على الحائط في غرفة بمدينة لندن . تدرون ما هو معنى ذلك . ان كنتم في ريب منهُ فقفوا يوماً والهلال ابن ثلاثة ايام وانظروا كيف يرتسم خيالكم بهِ على الحائط

اما رواية لورد ادر فيظهر منها انهُ كتبها بعد الحادثة بايام قليلة وقد قال فيها . « سمعنا شباكاً يرتفع واذا بهوم ظهر واقفاً خارج شباك غرفتنا ثم فتحهُ ودخل الغرفة على هيئتهِ » ولم يقل ان احداً رآهُ يطير من شباك الى شباك

وقد قال ارل كروفرد ولورد ادر ان الارواح وشوشت لورد كروفرد وهما جالسان في غرفة مظلمة انها كانت عازمة ان تنقل هوم من غرفة الى اخرى (وعندي ان الذي وشوش انما هو هوم نفسهُ متخفياً)

وقال لورد كروفرد انهُ لم يكن في الشباك موقف رجل ولكن الغرفة كانت غرفة لورد ادر وقد قال هذا ان البارز من عتبة الشباك كان عرضهُ قدماً ونصف قدم . فاين الدليل على ان هوم طار من شباك الى شباك . لكن لمبروزو كتب في شيخوختهِ « ان هوم طار من شباك الى شباك حول قصر من قصور لندن » وكل ما في شهادة هذين الشاهدين ان احدهما رأى خيال هوم على جدار غرفة يتور القمر والقمر هلال والآخر التفت فرأى هوم واقفاً على عتبة الشباك ومع ذلك يقال لكم ان الشهود على صحة هذه الحادثة اعدل من الشهود على صحة اغتيال يوليوس قيصر ومن كل الشهادات على صحة الحوادث التي تعتقدون صحتها . اما الكبتن ون وهو الشاهد الثالث فقد قال بعد حدوث الحادثة بعشر سنوات « اني احلف ان هوم خرج من شباك ودخل من آخر » هذه كل شهادات هؤلاء العدول عن هذه الحادثة المعدودة اهم الحوادث الروحية واعجبها . اما انا فاقول انها اكبر الخزعبلات التي ذكرت في تاريخ مناجاة الارواح

وقد يقال ما هي الامور التي اختبرها مناظري بنفسهِ من هذا القبيل. فاجيب انهُ ذكر الحادثة التالية كأنها اعظم الحوادث التي توجب الاقناع ذلك انهُ في صباح الرابع من ابريل سنة ١٩١٧ استيقظ وهو يشعر كأنهُ توجي بشيء روحي ولم يبقَ في ذهنهِ مما نوجي بهِ الاَّ كلة واحدة وهي كلة بياثي وهي اسم النهر الذي وقفت عندهُ الجنود الايطالية سنة ١٩١٧ . وقال ان كل احد يعرف كلة بياثي الآن اما حينئذٍ في ربيع سنة ١٩١٧ فكلمة بياثي كانت جديدة فالتفت الى جغرافية فوجد انها اسم نهر وراء الميدان الذي كان فيهِ الايطاليون حينئذٍ باربعين ميلاً وكانوا لا يزالون آخذين في التقدم والفوز حليفهم ولم يفهم لماذا خطرت على بالهِ هذه الكلمة فاخبر بها زوجتهُ وكاتبهُ

ولكن في ابريل سنة ١٩١٧ لم يكن الايطاليون متقدمين والفوز حليفهم كما قال مناظري. في الرابع من ابريل سنة ١٩١٧ كان السر وليم روبرتسن في ايطاليا ووجد ان الجيش الايطالي لم يكن صالحاً للتقدم بل للوقوف امام الجيش النمسوي الذي كان شارعاً في هجومهِ العظيم وقد كان الغرض الذي اتجه اليهِ النمسويون حينئذٍ البندقية (فنيس) وسهلها . والطريق الواسع من الالب الى البندقية هو وادي بياثي . ولم يكن حينئذٍ في اوربا رجل خبير بالحرب الاَّ وهو ينتظر تقدم النمسويين . ومن المؤكد انهُ في الثالث من ابريل اي قبل مجيء الوحي الى السر ارثركونن دويل بيوم نشرت جريدة التيمس مقالة طويلة من قلم مكاتبها الحربي في ايطاليا عن تقدم النمسويين المنتظر على سهل البندقية

وقد ذكر مناظري ما قيل للسر اوليفر لدج عن صورة ابنهِ كدليل على صدق مناجاة الارواح

اظن ان كثيرين منكم قرأوا كتاب ريموند فان السر اوليفر لدج فقد ابنهُ في الحرب فذاع خبر ذلك وعرفهُ كل الوسطاء في البلاد الانكليزية بل عرفوا ايضاً انهُ لا بد للسر اوليفر لدج من ان يطوف عليهم ويستخبرهم عن روح ابنهِ . فذهب الى وسيطة فقالت لهُ كان عندكم ثلاث صور من صور ابنك قبلما مضى الى الحرب وهو في واحدة منها مع جماعة من الرجال ومعهُ عصا تحت ابطهِ . ولكن كان عند السر اوليفر لدج ثلاثون صورة لريموند لا ثلاث صور فقط ولم يكن بينها صورة

وهو مصور فيها مع جماعة من الرجال . ثم اتتهُ صورة رجل وهو مصور فيها ومعهُ عصا ولكنها ليست تحت ابطهِ . ولذلك فالقيود الثلاثة التي ذكرتها الوسيطة الاولى غير صحيحة كلها . وانتشر الخبر ان السر اوليفر لدج آخذ في استخبار الارواح عن ابنهِ بواسطة الوسطاء فلا استغرب ان يجد عند ثاني وسيطة يستخبرها علماً عن صورة ابنهِ . سأل هذه الوسيطة عن وصف الصورة فقالت لهُ ان فيها صور كثيرين . ولكن السؤال كما هو وارد في كتابهِ صريح في انهُ عن صورة جمهور لا عن صورة شخص واحد . فقال هل هم جنود فقالت نعم هم مزيج. قال هل هم في الخلاء اجابت على نوع ما . لا اظن ان كاهنات دلفي في بلاد اليونان كنَّ اسهر وادهى من الوسطاء الذين استخبرهم السر اوليفر لدج لكنهُ ذكر ما قلتهُ دليلاً مقنعاً على خلود النفس

ومن الحوادث التي اختبرها مناظري بنفسهِ ايضاً انهُ لما غرقت الباخرة لوزيتانيا كان في بيتهِ وسيطة فقالت « ان الامر جلل وسيكون لهُ تأثير كبير في الحرب » ولا اظن ان احداً منكم يرى قوةً روحية في قول مثل هذا فلا ابحث فيهِ

ومنها ان امرأة من صديقاتهِ توفيت ولوفاتها علاقة بالمورفين وبعد اسبوع كان يستشير وسيطة فقالت لهُ انها ترى صورة امرأة وشيئاً يتعلق بالمورفين. فاذا اقام لنا ادلة مقنعة على ان تلك الوسيطة لم تكن تعلم شيئاً عن علاقة المورفين بموت تلك المرأة بحثنا في المسألة

ومنها ان بعضهم اخبرهُ عن بيت مسكون وبعد سنين وجدت عظام رجل اغتيل في ذلك البيت

هذه كل الادلة التي رأيتها في كتاب مناظري وهي في نظره تجعل مناجاة الارواح امراً صحيحاً يقينياً . ايظهر من ذلك ان مناظري بحث بحث العلماء المدققين المجربين كلاَّ بل هو قد دخل في هذه الموضوع غير حذر فاكتنفتهُ غشاوة من الاوهام . وهذا كان شأن السر وليم كروكس والسر وليم بارت والسر اوليفر لدج وامثالهم من الذين دخلوا حلقات اناس من اهل الدهاء والخداع فخدعوهم»

وسنأتي على رد السر ارثر كونن دويل في الجزء التالي